مرجعية القرآن في الشعر الأندلسي، الخلافة إلى نهاية الطوائف أنموذجًا

ID No. 758

(PP 92 – 107)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.SpA.6

سرور أحمد محمد أمين

قسم اللغة العربية،كلية التربية،جامعة صلاح الدين-أربيل

Srursweri@gmail.com

أ .د . صالح ويس محمد

قسم اللغة العربية،كلية تربية علوم إنسانية،جامعة الموصل

alwyis@yahoo.com

الاستلام: 2022/01/31

القــبول : 2022/03/06

النـــــشر : 2022/06/28

ملخص

الخطاب القرآني من المرجعيات التي كانت لها الحضور القوي في جسد القصيدة الأندلسية، عصري الخلافة والطوائف. وكان من المرجعيات الضاغطة التي فرضت سلطتها وسلطانها على الخطابات الشعرية الأندلسية في الفترتين. وقد تجلت هذه المرجعية الدينية على شكل الاقتباسات القرآنية. واستطاع الشعراء أن يستدعوا هذه المرجعية بأسلوبين هما؛ أسلوب الاقتباس النصي المباشر، وأسلوب الاقتباس غير النصي أو الإشاري غير المباشر.وقد فضل معظم الشعراء الأسلوب الثاني لدواع دينية. وقد أسهم الحضور المكثف للنصوص القرآنية في بناء الهوية الأندلسية الإسلامية والأدبية. كما استطاع الشعراء أن يرفدوا خطاباتهم الشعرية من خلال مرجعيتهم الدينية، ويضيفوا إلى مواهبهم وطاقاتهم الشعرية طاقات أخرى منبعها الاقتباس القرآني الذي يعد نوعاً من أنواع التناص في منظور النقد الحديث، لأنه عبارة عن تداخل نصوص قرآنية في خطابات شعرية.وقد هيأ الشاعر الأندلسي للمتلقي فرصة الاستمتاع بالنصوص الشعرية المرصعة بالخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية، الخطاب القرآني، الاقتباس، شعراء عصري الخلافة والطوائف، الخطابات الشعرية.

1. مقدمة

الحمد لله الذي قدّر لي أن أكتب شيئاً يتصل بالقرآن الكريم. وقد وقع اختياري على موضوع (مرجعية القرآن في الشعر الأندلسي، الخلافة والطوائف أنموذجاً)، فاخترتها بين المرجعيات التي بحثت فيها كالمرجعية الثقافية والتاريخية والاجتماعية. لحيوية هذا الموضوع وروحانيته وجمالياته إضافة إلى إيحاءاته التي تفضي إلى قراءات متنوعة حسب ثقافة الباحث وتعمقه في الأجواء القرآنية بألفاظه ومعانيه وصوره. وكان منهجنا في البحث هو منهج التحليل النصي، فقد انطلقنا من النص مع الاستعانة بكتب التفاسير القرآنية لإضاءة الطريق، حتى يتسنى لنا ربط النصوص القرآنية بالخطابات الشعرية الأندلسية.

ومن الجدير بالذكر أن مرجعية الخطاب القرآني في الشعر الأندلسي تظهر من خلال البحث عن الاقتباس القرآني، لذلك بحثنا عن الاقتباس لغة واصطلاحاً، ثم ذكرنا أهم الأسباب التي أفضت بالشاعر الأندلسي للرجوع إلى مرجعية الخطاب القرآني، ثم عرضنا لنماذج شعرية لشعراء العصرين المذكورين لنبين أثر الخطاب القرآني في الخطابات الشعرية الأندلسية، ثم انتهينا إلى جملة نتائج أوجزناها في الخاتمة.

2. الدراسات السابقة

الدراسات حول القرآن الكريم وتأثيره في الشعر كثيرة، وتكاد لا تحصى، لأهمية القرآن الكريم في حياة المسلمين، وأثره في جميع مناحي الحياة. ومن الدراسات القريبة من دراستنا (أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة) للدكتور محمد شهاب العاني. إذ تناول تأثير القرآن في الشعر الأندلسي في فترة زمنية معينة وقد بين تأثير القصص القرآني في الشعر الأندلسي .لكنه لم يتناول القرآن الكريم كمرجعية دينية ضاغطة فرضت سلطتها وسلطانها على الشعر الأندلسي. ومن الدراسات الأخرى (الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين) للدكتور منجد مصطفى بهجت. وقد تحدث عن الأغراض الإسلامية في الشعر الأندلسي و الخصائص الفنية للشعر الإسلامي والنزعة الإسلامية في النقد الأندلسي.وقد تحدث عن تأثر الشعر الأندلسي بالقرآن الكريم والسنة النبوية والمذاهب الإسلامية. ومن الرسائل التي وقعت تحت أيدينا رسالة الطالب هادي طالب محسن العجيلي، والتي تحمل عنوان (أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين) وقد تناول الباحث أثر القيم القرآنية في الشعر الأندلسي خلال الفترتين . وكذلك بين فاعلية الإيقاع القرآني في شعر تلك الفترة وغاية

الشعراء في نهجهم هذا. وهناك دراسات أخرى وبحوث قريبة من بحثنا لا يسع المكان لسردها ، استطعنا أن نستفيد منها ما أمكن لنا .

3. الاقتباس

الاقتباس لغة: "القَبَسُ: الشعلة من النار. وفي التهذيب: القَبَس شُعلة من النار تَقْتَبسها من مُعْظم، واقتِباسها الأخذ منها. وقوله تعالى: {آ بِشِهَابٍ قَبَسٍ } النمل: ٧. القَبَس: الجَذوة، وهي النار التي تأخذها في طَرَفِ عُود" (ابن منظور، 2006،ج 22/11).)

وفي الاصطلاح: "هو أن يضمّن المتكلم كلامه كلمة من آية، أو آية من آيات كتاب الله تعالى خاصة. هذا هو الإجماع... ومنهم من عدّ المضمّن من الحديث النبوي اقتباساً، وزاد بعضهم في الاقتباس من مسائل الفقه".(طبانة، 1988، 519 – 520)، ومهما يكن من شيء، فالاقتباس سواء أكان من القرآن الكريم أم الأحاديث النبوية الشريفة أم المسائل الفقهية، يعد مرجعية دينية يمد الخطاب الأدبي بطاقات هائلة من الإيحاءات التي لا حدود لها، ولا سيما القرآن الكريم فهو "مَفْجَرالعلوم ومنبعها، أودع الله فيه علم كل شيء، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد" (السيوطي، 2008 :15). وقد تنبه شعراء الأندلس إلى قوة الخطاب القرآني ، فراحوا يستدعونه ويقتبسون من نوره.

1.3 أسباب الرجوع إلى مرجعية الخطاب القرآني

إعجاب شعراء الأندلس بأسلوب القرآن الكريم ولغته، جعله دائم الحضور في أشعارهم، كونه أول رافد من روافد النص الشعري في دولة كانت رايتها الجهادية ؛ لا إله إلا الله. فقد شكلت الثقافة الدينية جزءاً كبيراً من المخزون الثقافي عند الأندلسيين، لأن الرجوع إلى المرجعية الدينية وتوظيفها يدل على وعي وثقافة واسعة وعميقة تميز بها الشاعر الأندلسي. ومن خلال ثقافته استطاع أن يتوسل بها إلى التعبير عن مقاصده وأغراضه بأسلوب مؤثر. من الجدير بالذكر أن الصراع بين العرب والإفرنج جعل الأندلسيين يتمسكون بالمرجعية الدينية ويعودون إليها، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم حماة الدين الإسلامي في الأندلس. فكان ظروف الحرب والجهاد من الدوافع الرئيسة لعودة شعراء الأندلس للمرجعية الدينية ولغة القرآن .ومهما يكن من شيء فقد شكل القرآن الكريم مصدراً سخياً لجأ إليه شعراء الأندلس للتعبير عن واقع حياتهم وظروفهم منذ بداية الفتح حتى سقوط دولة بني الأحمر. لأنهم تأثروا بالقرآن الكريم وتفاعلوا معه واهتدوا بهديه، فكانت النتيجة التواصل مع المتلقي والتأثير فيه من خلال القرآن الكريم، لأنهم استطاعوا أن يحركوا فيه العاطفة الدينية. وقد "عاش القرآن مع الشاعر الأندلسي في فكره ووجدانه وخياله، وبكل تفاصيل حياته، فكان المنبع الثر الذي أمد الشاعر بالكثير من المعاني والصور، ومقومات لغته الشعرية."، (عودة محمد، 2004: 278). ولا عجب، إذ كان المرجع الأساس في حياتهم.

2.3 أنواع الاقتباسات من الخطاب القرآني

هناك نوعان أساسان من الاقتباسات القرآنية، فالنوع الأول يسمى: الاقتباس النصي أو المباشر، بينما يسمى النوع الثاني: الاقتباس غير النصي أو الإشاري. وقد فضل أكثر شعراء الأندلس الاقتباس الإشاري، إذ إنهم يشيرون في أشعارهم إلى الآيات القرآنية دون أن يلتزموا بنصها. على العكس من الاقتباس النصي يكون الشاعر ملتزماً بالآية القرآنية دون التدخل في تفاصيلها. والسبب في ميلهم إلى الاقتباس الإشاري "يعزى إلى كراهة الاقتباس التي نص عليها المالكية، وهو شعور منهم بمزيد من الإجلال والتبجيل من أن يذكر القرآن نصاً."(بهجت،. د.ت، :482). ومهما يكن من شيء فدواوين شعراء الأندلس في عصري الخلافة والطوائف لا تخلو من النوعين فمن أمثلة الاقتباس النصي قول ابن دراج:(القسطلي،1961: 369).

والبَسِ الصَّبْرَ إلى أرضِ العِدى	وَقُدِ النَّصْرَ إليه و اسْتَمِدّ
واخسفِ الشِّرْكَ بِعَزْمٍ يَنْتَضى	سَيْفُهُ عن (قُلْ هو الله أحد)

إنه يحرض ممدوحه للمضي قُدماً في محاربة أهل الشرك وخسفهم، مستمداً صبره وشجاعته من قوله تعالى: {آقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} الإخلاص: 1. فمن كان شعاره {آاللَّهُ أَحَدٌ } سيكون الله ناصره ومسانده لاريب.

ومن الذين شغفوا بالاقتباس النصي أبو جعفر الإلبيري.(السيوطي، 1983: 340)، الذي استدعى النص القرآني في مواضع متفرقة من شعره ، فهو القائل: (المقري،1988:ج2 :682).)

إن شِئْتَ أنْ تَجِدَ العَدوَّ وَ قَد غَدا	لَكَ صَاحِباً يُولِي الجَمِيلَ وَيُحسِنُ
فاعْمَلْ كَمَا قَالَ الخَبِيرُ بِخَلْقِهِ	في قَوْلِهِ (إدْفَعْ بالتي هي أحْسَنُ)

فلقد استدعى قوله تعالى: {ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } فصلت: ٣٤ ليعلّم المتلقي درساً أخلاقياً مستمداً من مرجعيته الدينية. ومضمونه ؛ إذا أساء مسيء فقابله بالإحسان إليه، وأبذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة. (السعدي، 2000 :749)، وتحول المسيء إلى محسن والعدو إلى صاحب وهو بهذا الاستدعاء قوّى حجته وزيّن قصيدته، وكثّف المعنى واختصره. وله أيضاً قصيدة يقول فيها: (المقري، 1988 :ج2/ 682).

يَا صَاحِبَ المَالِ أَلَمْ تَسْتَمِعْ	لِقَوْلِهِ (ما عِندَكُمْ يَنْفَدْ)
فأعمل بِهِ خَيْراً فَوَاللهِ ما	يَبْقى وَلا أنتَ بِهِ مُخْلَدْ

يلاحظ أنه استدعى قوله تعالى: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون } النحل: ٩٦ .ليحث صاحب المال على الإنفاق، فإن الذي بيد الناس ولو كثر و نما لا بد أن يفنى . أما ما عند الله فإنه باق لا يزول ولا يفنى. فليس بعاقل من آثر الفاني الخسيس على الباقي النفيس.(السعدي، 2000 : 448). والشاعر عندما يذكر نصف آية (ما عندكم ينفد) فإنه يدعو المتلقي الحاذق أن يكمل الآية (وما عند الله باق ...) ليتفكر فيها و يتدبرها ويعمل بموجبها. فجزاء الإنفاق والصبر عليه عظيم ، لأنه مضاعف عند الله. ومن اقتباساته النصية قوله: (المقري، 1988: ج2/ 683)

إذا شِئْتَ رِزْقاً بِلا حِسْبَةٍ	فَلُذْ بالتُّقى واتْبِعْ سُبْلَهْ
وَتَصْدِيقُ ذَلك في قَوْلِهِ	(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهْ)

لقد رجع إلى قوله تعال: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) الطلاق: ٢ وقد يكون استدعى من قوله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) الطلاق: ٤ . حتى يقنع المتلقي بضرورة مخافة الله واتباع أوامره، لأن في ذلك "فرجاً ومخرجاً من كل شدة ومشقة." (السعدي، 2000 : 870). وقد استدعى الآية ليقوي بها كلامه ويقنع المتلقي. وعلى هذا النحو فقد ازدحم شعر أبي جعفر الإلبيري بالاقتباسات النصية المباشرة، ولا عجب في ذلك فقد كان حافظاً لكتاب الله، (الذهبي، 1996 : ج14: 569)، فجعل ذلك ينعكس على أشعاره، ويوظفه خير توظيف.

ومن أمثلة الاقتباس القرآني لكن بتصرف بسيط ينسجم مع المقام والسياق، ما قاله ابن عبد ربه الأندلسي في الشيب والشباب: (ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: 51).

كَآبَةُ الذُّلِّ في كتابي	وَنَخْوَةُ العِزِّ في جَوَابِي
قَتَلْتَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ	فَكَيْفَ تَنْجُو مِنَ العَذَابِ؟
خُلِقْتَ مِنْ بَهْجَةٍ وَطِيبٍ	إذْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ تُرَابِ

يلاحظ في البيت الثاني استدعاؤه لقوله تعالى: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) الكهف: ٧٤. وقد يكون ا استدعاؤه من قوله تعالى:(وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) طه: ٤٠. أو ربما ازدحم في ذهنه قوله تعالى: (أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا

قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِين)القصص: ١٩. وقد تكون الآية الثالثة من سورة القصص أنسب لغرضه وأقرب لما أراد أن يوصله، فهو يتحدث عن عارض الشيب الذي جاء لينذره قرب وفاته كما فعل مع الآخرين قبله. فقد جعل الشاعر الشيب إنساناً يخاطبه، بل ويؤنبه على ما فعل بالشاعر وبمن قبله. وكأنه يريد أن يقول له، كما قيل للنبي موسى عليه السلام: (أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِين) القصص: ١٩. لقد استوعب ما جاء في الآية القرآنية ووظفها توظيفاً بدا وكأنها جزء من معمارية القصيدة، ولذلك كانت مؤثرة في المتلقي، فعارض الشيب قوة جبارة يفتك بجميع البشر ولا أحد يملك منه فكاكا. وفي البيت الثالث اقتباس إشاري لقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم) الروم: ٢٠. فقد لمس الشاعر الآية القرآنية لمساً خفيفاً ولم يشر إليها صراحة. فقد استمد من الآية الضمير(كم) العائد إلى الناس في البيت، بالإضافة إلى كلمتي (خلق وتراب). ومن اقتباساته أيضاً قوله ، وهو يرد على المنجمين أيام القحط: (ديوان ابن عبد ربه الأندلسي، 1993: 48).

فَكُلُّكُمْ يَكْذِبُ في عِلْمِهِ	وَعِلْمُكُمْ في أصْلِهِ كاذِبُ
ما أنْتُم شَيءٌ ولا عِلْمُكُم	قَدْ ضَعُفَ المَطْلوبُ والطالِبُ
تُغالِبونَ اللهَ في حُكْمِهِ	واللهُ لا يَغلِبُهُ غالِبُ

لقد استدعى في البيت الثاني قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوب) الحج: ٧٣. لقد أراد تنبيه المنجمين بكذبهم وافترائهم، وسفاهة علمهم. وكأنه عندما قال في البيت الثاني: (ما أنتم شيء ولا علمكم) أراد أن يقول: أنتم وعلمكم في تفاهة وضعف الذباب، لأن الآية أشارت إلى لفظة (ذباب)، وقد غير الشاعر في ترتيب الألفاظ على سبيل الاقتباس الإشاري ، وقد يكون السبب؛ كراهة الاقتباس بنصه في مذهبهم .أو ربما أراد أن يقول: إن علم التنجيم لديكم ضعيف أولاً ثم طالبه الذي يسعى إليه وينشغل به، لذلك قدّم كلمة (المطلوب) على كلمة (الطالب) على خلاف الآية القرآنية.أو إنه أراد أن تكون العبارة جزءاً من جسد القصيدة ، حتى تبدو عليها بصمته، وتظهر من خلالها شاعريته. وقد اقتبس في البيت الثالث من القرآن الكريم واستدعى قوله تعالى: (وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون) يوسف: ٢١. وكان الاقتباس إشارياً أيضاً ليبين أن أمر الله وحكمه فوق كل الأمور، ومشيئته فوق مشيئة المنجمين. ومن الاقتباسات القرآنية مع تبديل قليل بما يلائم الموقف، قول ابن حزم الأندلسي في الغزل:(ابن حزم، 2016: 138).

مَنَعْتِ جَمَالَ وَجْهِكِ مُقْلَتَيَّ	وَلَفْظُكِ قَدْ ضَنَنْتِ بِهِ عَلَيْنا
أراكِ نَذَرْتِ لِلرَّحْمنِ صَوْماً	فَلَسْتِ تُكَلِّمِينَ اليَوْمَ حَيّا

لقد عبّر الشاعر بقوله: (نذرتِ للرحمن صوماً فلستِ تكلمينَ اليوم حيا) استدعاءً للآية الكريمة من قوله تعالى: (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) مريم: ٢٦. رغبة منه في أن يرسم لمحبوبته صورة المرأة الحَصان العفيفة، فلم يجد أقوى تعبيراً من الرجوع لسورة مريم ليمتص صفاتها ويمدح بها محبوبته الممتنعة عليه وعلى الناس أجمع. وقد يكون استدعاء صورة السيدة مريم عليها السلام رغبة منه في بيان حاله مع محبوبته الصادة الهاجرة القاطعة للوصل والممتنعة عن الكلام كما امتنعت العفيفة مريم.

ومن الاقتباس النصي المباشر، قول يوسف بن هارون الملقب بالرمادي: (شعر الرمادي، 1980: 140).

.

كَبَّرْتُ مِن فَرْطِ الجَمَالِ	وَ قُلْتُ : ما هذا بَشَرْ
فَأَجَابَنِي : لا تُنْكِرُوا	ثَوْبَ السَّماءِ على القَمَرْ

فالاقتباس المباشر في قوله: (ما هذا بشر) وقد استدعاه من قوله تعالى: (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم) يوسف: ٣١. ليبين تعجبه من جمالِ خلق الممدوح، كما تعجب نسوة مصر من جمال خِلقة النبي يوسف. لكن ردةَ فعل الشاعر خالف ردة فعل النسوة. إذ قال الشاعر: الله أكبر، تعظيماً للخالق. بينما النسوة: بُهِتْنَ وأعظمْنَ المخلوق ورفعْنه مرتبة الملائكة. الملاحظ أن قصة النبي يوسف استقطب اهتمام شعراء الأندلس في تلك الفترة. فأبو بكر بن القوطية يقتبس آية بلفظها ومعناها ويستدعيها من قصة يوسف ليصف وردة النيلوفر، ويصورها تصويراً غريباً قلما يخطر على بال شاعر، إذ يقول: (الحميري، 1940: 144-145).

وذاتِ جِسْمٍ كاللُّجَيْنِ المنْسَبِكْ	خُضْرٌ سَراويلاتُها خُضْرُ التُّكَكْ
كأنّما العَنْبَرُ فيها قَدْ فُرِكْ	والمِسْكُ في قيعانِها امْتَسَكْ
ناسِكَةٌ نَهارَها مَعَ النُّسُكْ	حتّى إذا الليلُ تَدانى و اشْتَرَكْ
وآن أنْ يأتيَ المُحِبُّ المُنْهَتِكْ	غَلَّقَتِ البابَ وَ قالَتْ : هيتَ لك

يبدو للقارئ عند الوهلة الأولى، أن الشاعر يتحدث عن امرأة عَطِرة فائقة الجمال، عابدة وناسكة وذات مواصفات خاصة مثيرة، لكنها في الليل متهتكة سافرة. إلا أن المتمعن في مناسبة القصيدة يعرف أنه يتحدث عن وردة النيلوفر المعروفة بجمال منظرها. والعجيب أنها تسمى قاتل النحل، لأن النحلة تطلب أكل ما بداخل أوراق الوردة. وقد تغلق الوردة أوراقها ليلاً، فتمنع النحلة من الخروج. (الحميري، 1940: 142). لقد ربط الشاعر بين هذه الوردة وامرأة عزيز مصر بحنكة فنان يمتلك أدواته، فتمعّنه في طبيعة الوردة الغريبة جعله يرتاد بخياله إلى الأجواء القرآنية ليستعير منها تصرف امرأة العزيزالغريبة في استدراج النبي يوسف عليه السلام، ويربط بينهما. فالوردة الجميلة تغلق أوراقها على الحشرات في المساء، كما غلّقت زليخا الجميلة الباب على النبي يوسف عليه السلام.فقد قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) يوسف: ٢٣. إن هذا النوع من التشبيه لا يمكن أن يخطر إلاّ على بال الشاعر الأندلسي الحافظ لكتاب الله تعالى ، المتبحر في علومه. و من أمثلة الاقتباس النصي ما قاله ابن خفاجة يصف فرساً كريماً أشهب:(ديوان ابن خفاجة،د.ت: 156).

وَمُشرِفِ الهادي، طَويلِ السُّرى،	ضافي سَبيبِ الذَّيلِ و العُرفِ
يُصَرِّفُ الفارِسُ، في لِبدِهِ،	طِرْفاً بِهِ أَسْرَعَ مِن طَرْفِ
مُؤَدَّباً لو كان مُستَعيداً،	لَمْ (يَعْبُدِ اللهَ على حَرْفِ)

يلاحظ أنه استدعى في البيت الثالث قوله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) الحج: ١١. لوصف قوة الفرس وسرعته. وقد استعار قوله تعالى ليبين أنه لا يشك في قوته ومقدرته وفي كل المواقف، فصفة فرسه ليس كصفة بعض الأعراب الذين أشار إليهم - سبحانه وتعالى- في الآية الكريمة السابقة، لأنهم" إن نالوا رخاءً من عيش أقاموا على الإسلام ، وإلا ارتدوا على أعقابهم" (الطبري، 1994: مج5:298). وشكّوا في الدين الجديد. فقد قلب ابن خفاجة الوصف السلبي للأعراب إلى وصف إيجابي للفرس، وذلك عندما أدخل أداة الجزم (لم) على الآية ليعيد صياغتها ويجعلها تتوافق مع مدح الفرس . فهذا الفرس لا يُشك في قوته ، كما شك بعض الأعراب في الإسلام.

ومن أمثلة الاقتباس الإشاري، ما قاله ابن خفاجة تعبيراً عن حزنه لفقد ابن أخته: (ديوان ابن خفاجة: 64).

تَراني إذا أَعْوَلْتُ حُزْناً ، حَمامَةٌ	تَرِنُّ ، وَطَوْراً، أَيْكَةٌ تَتَرَنَّحُ
غَرِيْقاً بِبَحْرِ الدَّمعِ وَالهَمُّ وَالدُّجَى ،	وَلَو كانَ بَحراً واحداً كُنْتُ أَسْبَحُ
أُحَمِّلُ أَنْفاسَ الشِّمالِ تَحِيَّةً	يَنُوءُ بِها مِن ماءِ جَفْنِي فَيَزْحَحُ

نراه يصف شدة حزنه. إذ يرفع صوته باكياً، فطوراً يشبه الحمامة حين ترجّع الصوت وتغني في تطريب وتحنان. وطوراً آخر يشبه الشجر الكثيف الملتف تتمايل ضعفاً ووهنا.يبدو أن همومه الكثيرة التي لا يستطيع تحملها تشبه في كثرتها أموال قارون التي أعيا حمل مفاتحها العصبة أُولي القوة. فهمومه في الكثرة تشبه كنوز قارون، لذلك حلّق الشاعر بخياله إلى الأجواء القرآنية كغيره من شعراء عصره لتُعينه في التعبير عن محنته. فاستدعى قوله تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) القصص: ٧٦. على سبيل الاقتباس الإشاري، ليشير إلى أنه مثقل بالهموم حتى كادت دموعه الثقيلة المحملة بالماء لا تطاوعه فتنفلت لِترزح وتسقط دون نهوض. لقد حاول استغلال الآية القرآنية وإيحاءاتها ليصور شعوره ويعمل على تعميق حالته النفسية المتأزمة. فالمتلقي عندما يتصور أموال قارون يستوعب شدة هموم الشاعر وألمه الضارب في العمق. والمتصفح لديوان ابن خفاجة - شاعر الطبيعة - يلاحظ النفحات الإيمانية التي تحمله قصائده، "فقد وقف ابن خفاجة موقف المتحنث المتعبد في محراب الطبيعة"(بهجت،د.ت: 499). يعينه في ذلك مرجعيته الدينية التي يرجع إليها كلما رأى في ذلك سبيلا، ففي قوله: (ديوان ابن خفاجة، د.ت: 138).

غَيْرِيَ مِن يَعتَدُّ ، مِن أُنسِهِ	ما نالَ مِن ساقٍ وَ مِن كأسِهِ
وَشأنُ مِثلي أن يُرى خالياً	بِنَفسِهِ، يَبْحَثُ عن نَفسِهِ

يبدو أنه تأمل في قوله تعالى: أَ(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)يونس: ١٠١. ليجد نفسه في خلوته يعبد الله، بينما يبحث غيره عن أنسه وكأسه. وقد يحيلنا لفظة (يبحث) إلى قوله تعالى: (فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ) المائدة: ٣١. لنلاحظ أنه استدعاها وعياً أو لا وعياً منه حتى يُعَلم الناس البحث عن ذواتهم ليجدوه في عبادة الله والاختلاء بالنفس، كما علّم الغرابُ ابن آدم كيف يدفن الميت. وبهذا فقد كانت للفظة القرآنية بعدها الدلالي الإشعاعي التي أضاءت البيت الشعري وأحالت المتلقي إلى أنواع من المقاربات النصية والقراءات المختلفة .

من الاقتباسات الإشارية لابن خفاجة قوله: (ديوان ابن خفاجة:112).

والنّاسُ مِن مُعرِضٍ يَلهو، وَمُلتَفِتٍ	يَرعى، وَمِن ذاهِلٍ يَنسى، وَمُدَّكِرِ
يَلهو بِساحاتِ أقوامٍ نُحدِّثُها،	وَقَد قَضَوا، فَمَضَوا ، إنّا على الأثَرِ
فإن بَكَيتُ، وَقَد يَبكي الخليلُ، فعَن	شَجوٍ، يُفَجِّرُ عينَ الماءِ في الحَجَرِ

إنه يتحدث عن الناس، فهم على أنواع، منهم من يقبل على ملذات الدنيا، ومنهم من يعرض عنها ويمتنع، منهم من ينسى ذكر ربه، ومنهم من يتذّكر ويتعظ. لكن الكل يعيش على أرضٍ لسان حالها تقول: كان هناك أقوام غيركم عاشوا هنا وانقضوا وماتوا. وأنتم على آثارهم تفنون وتنقضون. إنها الحقيقة المبكية التي تبكي حتى من كان قلبه حجرا. إنه استدعاء خفيف لقوله تعالى: أَ(وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء) البقرة: ٧٤. فحتى القلوب الصلبة الغليظة تبكي وتزدجر عن المعاصي عندما تيقن وتتذكر أنهم على آثار الأقوام البائدة سيرحلون. وإلى هذه الفكرة أشار ابن خفاجة مستعيناً بمرجعيته الدينية التي أسهمت في بيان قصد الشاعر ومراده بأسلوب راق مختصر. ومما يلاحظ على الأبيات السابقة حشد للاقتباسات الإشارية. ففي البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى:(وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) القمر: ١٥. عندما أنهى البيت

الأول بلفظة (مدّكر). وفي قول الشاعر (إنا على الأثر) في البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون) الزخرف: ٢٢. من هنا جعل ابن خفاجة شعره لوحة جميلة مرصعة بالإشارات القرآنية يستهدي بها الآخرون. فهو كغيره من شعراء الأندلس الذين عاشوا في تلك الحقبة لم يستطع أن يفلت من تأثير سلطة المرجعية الدينية عليه، لأنه تعلم القرآن وفهمه ثم استوعبه وحفظه، فكان لابد له من أن يعود إليه ويستدعيه ويستقي من معينه الثر. فالقرآن الكريم المرجعية الأكثر قدسية بين جميع المرجعيات والأكثر ثراءً وخصوبة.

لا ننسى ونحن نتحدث عن الاقتباس القرآني أن نشير إلى أبي إسحاق الإلبيري فهو من الشعراء الذين تميزوا "بالدعوة إلى الزهد في ملذات الدنيا التي جذبت الأفئدة وغيّرت السلوك الإنساني، ثم إن الشاعر شارك في الدعوة إلى الإصلاح السياسي وإلى الجهاد".(ديوان أبي إسحاق الإلبيري،1991: 5). وقد أكثر الشاعر من الاقتباسات الإشارية تورعاً منه . فمن اقتباساته الإشارية قوله: (ديوان أبي إسحاق الإلبيري،1991 :101).

وَيْلٌ لأَهْلِ النّارِ في النّار	ماذا يُقاسون مِنَ النّار
تَنْقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلي بِهِمْ	كَمِرْجَلٍ يَغْلي على النّارِ
فَيَسْتَغيثونَ لكي يُعْتَبوا	ألا لَعاً مِنْ عَثْرَةِ النّارِ
وَ كُلُّهم مُعْتَرِفٌ نادِمٌ	لَوْ تُقْبَلُ التَوبَةُ في النّار
يَهْوي بها الأشقى على رَأْسِهِ	فالوَيْلُ للأشْقى مِنَ النّار

في هذه القصيدة تصوير للعذاب الذي يقاسيه أهل النار. ويلاحظ على الأبيات إشارات عديدة لآيات متفرقة من القرآن الكريم. فقد أشار ومنذ البيت الأول إلى قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار) ص: ٢٧. فقد استعار لفظتين من الآية الكريمة وهما (ويل – النار) على سبيل الاقتباس الإشاري، ليخوف الناس من مشهد ذلك اليوم العظيم .ثم مرّ على البيت الثاني واستدعى فيه قوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير) الملك: ٨. فلفظة (تَنْقَدُّ) في البيت إشارة إلى لفظة (تميّز) المذكورة في الآية فهما يعطيان معنى واحداً للدلالة على التقطع والتفرق.(ابن منظور، 2006: 58/22).أما البيت الثالث فلا يخلو من الإشارة إلى قوله تعالى: (وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا) الكهف: ٢٩. استمراراً لبيان غرضه من تخويف الناس. وقد أشار في هذا البيت إلى آية أخرى من سورة أخرى ليدل على ثقافته العميقة ومعرفته بدقائق الآيات، فاستعار قوله تعالى: (أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين) هود: ١٨. وقد استطعنا أن نتوصل إلى الآية الكريمة بقرينة (ألا) الاستفتاحية المذكورة في عجز البيت الثالث عندما قال الشاعر (ألا لعاً من عثرة النار)، وقصد (ألا لعنة من عثرة النار).ولقد اعترف الجميع بذنبهم في البيت الرابع، إذ قال: (وكلهم معترفٌ نادمٌ)، ولكن لا سبيل من النجاة في دخول النار. ولكي يصور الشاعر هذا المعنى لجأ إلى سورة غافر ليستعير منها المعنى ويجسد الصورة بحرارة فاستدعى قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيل)غافر: ١١. ويستمر الإلبيري في الإشارة إلى الآيات القرآنية في البيت الخامس، ففي قوله: (يهوي بها) إشارة إلى قوله تعالى: (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيق)الحج: ٣١. كما أنه أشار في البيت نفسه إلى قوله تعالى: ٱ(لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى) الليل: ١٥. ليظهر لنا عبر هذه الأبيات القلائل تأثير وسلطة الخطاب القرآني عليه. من اقتباساته الإشارية أيضاً قوله: (ديوان أبي إسحاق الإلبيري، 1991: 25).

من لا يُراقِبُ رَبَّهُ وَ يَخافُهُ	تَبّاً يَداهُ وَ ما لَهُ مِنْ والِ

لقد أشار إلى قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَب) المسد: ١. محاولةً منه لبيان حال الذين لا يخافون ربهم ولا يرقبون فيه إلّاً ولا ذِمة ، فمصيرهم مع مصير أبي لهب سواء . وهذه الاستدعاءات القرآنية - سواء أ كانت مباشرة أو غير مباشرة – جعلت الخطاب الشعري الأندلسي يتميز بالرصانة والإيجاز بالإضافة إلى الأسلوب الموحي المؤثر. كما أن الحضور المكثف للقرآن الكريم جعل للخطاب الأندلسي هوية إسلامية ومنحه سمة التمايز والاختلاف. لقد حاور الشعر الأندلسي القرآن الكريم، فاقتبس آياته ورجع إلى معانيه وألفاظه ليسقط على شعره هالة من التقديس، ولينقل الدلالة من موقعها الأصلي إلى سياق آخر ينسجم معه كي يضفي على الخطاب الشعري غايات معنوية وجمالية تساعد في التأثير على المتلقي كونه مسلماً. فالقران مصدر ثري للعطاء المتجدد ، وشعراء الأندلس استطاعوا أن يوظفوه خير توظيف، لأنه كان يجسد الهوية الإسلامية لهم. فقد كان الأدب الأندلسي بصورة عامة ينهل من ثقافة القرآن. وظل تأثير القرآن الكريم سارياً في جميع العصور ولا سيما عصري الخلافة وملوك الطوائف. ويلاحظ أن التأثر به كان واضحاً عند أكثر شعراء الأندلس ولكن بدرجات متفاوتة . وأكثر من ظهر أثر القرآن في شعره ليدلل على ثقافته العالية هم : ابن دراج ، وابن زيدون، وابن هانى الأندلسي، وأبو إسحاق الإلبيري، وابن عبد ربه، وابن حزم، وابن شهيد، ويوسف بن هارون الرمادي وغيرهم كثير(عبد السلام، 2017: 68). وفي جميع العصور الأندلسية. لكن هؤلاء كانوا الصفوة التي عاشت في عصر الخلافة وملوك الطوائف.

إن شعراء عصر الخلافة وملوك الطوائف، أفادوا من الثقافة القرآنية، واقتدوا بأسلوب القرآن الكريم ،وعبرّ شعراؤهم عن ثقافتهم الدينية، يظهر ذلك من خلال ما احتواه شعرهم من ألفاظ ومعان ودلالات استنبطوها واستوحوها من لغة القرآن الكريم وفقهه وأسلوبه البليغ. ومما ورد في أشعارهم، الألفاظ الدالة على القرآن الكريم كلفظة الفرقان والمصحف والكتاب المنزل ومحكم الذكر، بالإضافة إلى عبارة السبع المثاني/ سورة الفاتحة، وآية الكرسي وسورة البقرة، والكهف، وآل عمران. وكذلك كلمة الوحي والتأويل والتلاوة، ومصطلح الناسخ والمنسوخ وغيره من صفات وأسماء الله الحسنى، وعبارات متنوعة مثل قضاء الله، ونعمة الله، ونور الله، ورحمة الله، وسبيل الله. كما أفاد الشعراء من أسماء الأمم البائدة كعاد وثمود إذ اقترنت أسماؤهم بالزوال والفناء. بالإضافة إلى أسماء الأنبياء - عليهم صلوات الله تعالى- حيث وظفت تلك الأسماء للدلالة على معنى خاص كلاً حسب ما تميز به في القرآن. فقد استدلوا على ملك سليمان ويأجوج ومأجوج بفخامة البناء، والنبي إبراهيم بعدم اكتراثه للنار، وقد وظفوا كلمة جالوت واعتبروها رمزاً للظلم والبغي. كما أنهم استخدموا (نسج داود) للدلالة على جودة الصنع .وقد شبهوا أنفسهم بالنبي يعقوب لشدة حزنهم على فقيدهم. وشبهوا فقيدهم بالنبي يوسف عليهما السلام .وضربوا لطول العمر بالنبي نوح عليه السلام مثلاً.كما أنهم أخذوا يقتبسون من الآيات بتمامها ويوظفونها دون تغيير. (كنيج، 2008: 240-244). فمن شعراء عصر الخلافة ؛ ابن هانىء الأندلسي الذي قال عنه ابن خلكان: " وليس في المغاربة من هو في طبقته لا مِن متقدّميهم ولا مِن متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين ... ولولا ما فيه (أي ديوانه) من الغلوّ في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر، لكان مِن أحسن الدواوين."(ديوان ابن هاني، 1980: 6-7). فمن شطحاته في مدح الخليفة المعز لدين الله قوله: (ديوان ابن هاني:146).

مَا شِئْتَ لا مَا شاءَتِ الأقدارْ	فَاحْكُم فأنت (الواحد القهارْ)
وَكأنما أنْتَ النّبيُّ مُحمّدٌ	وكأنّما أنْصارُكَ الأنصارْ

يلاحظ أن مرجعيته دينيةٌ صرفة، فقد استدعى قوله تعالى: (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ) الزمر: ١٥. وبموجب هذه الآية الكريمة التي لمسها لمساً خفيفاً في الشطر الأول، بنى حكمه الخطير في الشطر الثاني دون حياءٍ أو خجل ليجعل من ممدوحه ؛ معبوده الحاكم والآمر والناهي - والعياذ بالله – فراح يقتبس من الآية الكريمةاً (يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّار) يوسف: ٣٩. لفظتين هما (الواحدُ القهارُ) ليعلم المتلقي الفطن الحافظ للآية أن ممدوحه خير معبود، بقرينة كلمة (خير) الموجودة في الآية .وهكذا أراد أن يقنع ممدوحه بصدق ولائه له، فاستعان بالقرآن الكريم لتقوية حجته في الإقناع بما أضاف عليه من هالة دينية مقدسة. ويستمر الشاعر في مدح ممدوحه والإشادة بانتصاراته مستلهماً من مرجعيته الدينية ألفاظاً تدل على قوة ممدوحه وجبروته تجاه أعدائه فيقول:(ديوان ابن هاني الأندلسي: 149).

أضحوا حصيداً خامدين و أقفرت	عرصاتهم و تعطلت آثار
كانت جناناً أرضهم مغروشة	فأصابها من جيشه إعصار

لقد اجتمع في الشطر الأول آيتان يحتويان لفظة (حصيداً)وهما قوله تعالى: (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون) يونس: ٢٤، وكذلك قوله تعالى: (فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِين) الأنبياء: ١٥، فقد استدعى في الآية الأولى الوقت وتحديداً وقت النهار بقرينة قول الشاعر (أضحوا) بالإضافة إلى كلمة حصيداً. أما في الآية الثانية فقد استدعى لفظتين هما (حصيداً - خامدين) بلفظهما ومعناهما، ليبين مَآل أعدائه وعاقبتهم، كما بين الله تعالى عاقبة الذين اغتروا بالدنيا وزينتها، حتى إذا جاء أمر الله وقضائه أمر بهلاك ما عليها من النبات فجعلها مقطوعة مقلوعة من أصولها. (الطبري،1994: مج200/4). فهذا الاستدعاء القرآني جعل المتلقي يتصور الممدوح وهو يقطع الأعداء ويقلعهم من جذورهم، فيحصدهم بالسيف كما يُحصد الزرع. وأضاف لفظة خامدين ليبين هلاكهم وانطفاء شرارتهم كما تخمد النار وتطفأ.(الطبري:244/5)، حتى لايكون هناك منفذ وملجأ لقيامهم مرة أخرى . فقد هزموهم بما لايدع مجالاً للشك، فتبدلت أحوالهم وأقفرتْ عرصاتهم وساحاتهم وخلا منها ساكنوها. كما أن سلطة مرجعيته فرضت عليه استدعاء ألفاظ أخرى قريبة من التي استخدمتها الآية القرآنية. فقول الشاعر: (تعطلت آثار) إشارة إلى قوله تعالى: (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيد) الحج: ٤٥، فقد اندفن الأعداء وتعطّل آثارهم. كما فعل الله تعالى بالقرية التي أهلكها بإفناء أهلها وهلاك وارديها، فاندفنت وعطلت، فلا واردة لها ولا شاربةمنها.(الطبري:مج327/5). ويبدو أن سلطة المرجعية الدينية تضغط على الشاعر ليستدعي في البيت الثاني قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ) الأنعام: ١٤١، ليبين حال العدو قبل المعركة وبعدها . فقد كانوا في نعمة من الله يستلذون بجنانهم المعروشة، حتى تحول الحال إلى نقيضه، فغدت الجنان صحراء جرداء بسبب الإعصار والزوبعة التي أحدثها جيش المعز لدين الله.حتى اقتلع كل ما يصادفه من إنسان ونبات. وقد استعان الشاعر لبيان هول ما وقع للعدو ومصيرهم بعد الحرب بقوله تعالى: (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) البقرة:٢٦٦. فقد وظف كلمتين من هذه الآية بلفظهما ومعناهما وهما (أصابها - إعصار) ليقرب الصورة إلى المتلقي ويجعلها مؤثرة في السامع. ومن خلاله تجلت ثقافته القرآنية الواسعة.

.

يقول ابن هاني - الذي ظهر في شعره سلطة المرجعية الدينية- مادحاً (يحيى)مبالغاً في مدحه مستعيناً بمرجعيته الدينية: (ديوان ابن هاني الأندلسي: 154).

فلا تسألاني عن زمّاني الذي خلا	فوالعصر إني قبل يحيى لفي خسر

أراد أن يؤكد لممدوحه صدق ولائه، وفوزه وسعادته بمعرفة (يحيى) ومقدار خسارته قبل أن يلتقي به .فاستدعى من الآيات القرآنية الكثيرة التي ازدحمت في ذهنه وذاكرته، قوله تعالى: (وَالْعَصْرِإِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر) العصر: ١ - ٢، ليعلن أنه الرابح الأوحد بين بني البشر لمعرفته (يحيى)، وقد جعل ممدوحه رمزاً لهداية الإنسان، فمن لم يعرف (يحيى) ليتحسرْ على حاله، لأنه قد خسر ولم يهتد إلى الصواب في رأيه. أما الشاعر فقد ذاق طعم الخسارة قبل أن يلتقي بيحيى، لذلك لايريد أن يتذكر زمان الخسارة الذي خلا من معرفة يحيى. وبهذا نلاحظ أن شعره مفعم بالمعاني والألفاظ القرآنية. وأصبح القرآن المدّ الساري الذي يُغذي شعر ابن هانيء، بل والشعر الأندلسي، فقد بدا سلطة المرجعية الدينية قوية أيضاً في شعر الإمام ابن حزم الظاهري الذي عاش في عصر الخلافة ولا عجب، فقد كان عالماً موسوعياً وقد تحدّث في شتى صنوف المعرفة. وكان ذكاؤه في حدة الذهن وسعة العلم بكتاب الله وسنة رسوله الكريم والمذاهب والملل والنحل والعربية والأدب والمنطق والشعر مع صدق الديانة والحشمة. (ديوان الإمام

ابن حزم الظاهري:16)، فانعكس كل ذلك على أشعاره ولا سيما الجانب الديني فيه. ومما يدل على حضور سلطة المرجعية الدينية في أشعاره قوله:(ديوان الإمام ابن حزم الظاهري، 1990: 82).

ويومٍ كَحَدّ السّيفِ ليسَ بِثابت	عَليه جَليدٌ لا وَلا مُتجلّدْ
أمورٌ كأمْواجِ البحُورِ تصادَمت	عَلَيهِنّ سِربالٌ مِنَ الليلِ أكبدْ
عَبَأْتُ له جَسَداً مِنَ الحَزْمِ مُحْكَماً	وَ مِصْباح رأى نورُهُ يَتَوَقّدْ
فَأَنْقَذْتُ غَرقاها وَ نَوّرت ليلَها	وَ قَرّبتُ منها كل ما كان يبعد
سأفنى فَهل حي على الأرضِ خالدٌ	وَيَنْقل عن يومي وعن أمسي الغَدْ

لقد تعرض الشاعر إلى محن كثيرة في حياته ، فقد اعتقل وسجن وذاق مرارة الغربة بسبب جرأته في نشر المذهب الظاهري، بالإضافة إلى وفاة أخيه في الطاعون الواقع بقرطبة، ثم وفاة والده الوزير وتلاها وفاة زوجته التي عفا حبه لها على كل ما قبله وحرم ما كان بعده.(ديوان الإمام ابن حزم الظاهري،1990: 12)، فظروفه وثقافته فرضتا عليه الرجوع إلى المرجعية الدينية. وهو في هذه الأبيات يصف يومه المليء بالمحن. إذ لا يقوى عليه الشديد القوي ولا الذي يتظاهر بالقوة وهو لا يملكها. فاستدعى لبيان شدة ذلك اليوم الآية القرآنية من قوله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور) النور: ٤٠، فيومه يشبه أعمال الكفار في شدته، وهمومه كأمواج البحور تصادمتْ وتلاطمت، وفوق تلك الأمواج سربال من الليل شديد شاق غطاه وستره، فلا يكاد يرى شيئاً من شدة ازدحام المصائب. لذلك فقد استدعى سورة النور لينقذ نفسه من الغرق ويستضيء بها في همومه التي تشبه هموم الكفار، وهم في محنة الكفر وكأنهم في "ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم ، فاشتدتْ الظلمة جداً". (السعدي،2000: 570)، كما هو الحال عند ابن حزم، لكن ابن حزم استضاء بقوله - سبحانه وتعالى- المذكور في سورة نور: أ(وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون) النور: ٥١، ليبين فلاحه وفوزه على الهموم والمصائب التي توالت عليه، وأصبح ليله منوراً مضيئاً بحضور مرجعيته الدينية بعد أن كان ظلاماً دامساً. وسورة النور هي التي استضاء بها في حياته ، فانعكست على أبياته لتلهمه الصبر والسلوان .

ومن تجليات المرجعية الدينية في قصائده قوله: (ديوان ابن حزم الظاهري: 37).

لَكَ الحمدُ يا ربّ والشكرُ ثَمْ	لكَ الحَمْدُ ما باحَ بالشّكرِ فَمْ
لَكَ الحمدُ في كل ما حالةٍ	فَقَد خَصّني مِنْكَ فَضْلٌ وَنِعْمْ
مِنَ الماءِ أنشأتني نُطْفَةً	وَمِن بَعْدِ ذلكَ لَحْمٌ وَ دَمْ

ففي البيت الثالث إشارة إلى قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء) النور: ٤٥، كما إنه استدعاء لقوله تعالى: أ(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) الفرقان: ٥٤ .ثم إنه استدعاء لقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِين) السجدة: ٨. إلا أنه أراد استنطاق الآية الآتية: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين) المؤمنون: ١٤، بدليل حضور الألفاظ (نطفة، لحم، دم) في البيت الثالث والتي لمسناها في الآية الكريمة، ليبين عظمة معبوده وخالقه الذي يستحق الثناء والشكر. و

لم يخل ديوان ابن شهيد الأندلسي من ضغط سلطة المرجعية الدينية، فالقرآن الكريم يشكل جزءاً كبيراً من مخزونه الثقافي، لذلك انعكس على أشعاره وعياً أم دون وعي، فهو القائل: (ديوان ابن شهيد الأندلسي، د.ت: 164).

هلاّ سَتَرْتَ الشّيْنَ بالزَّيْنِ	مِن قَبْلِ إحْضَارِ الوَزِيْرَيْنِ
قَد عَلِمَا أنّهما أحْضِرا	لِخَلْوَةٍ أثْقَلَ مِنْ دَيْنِ
لمّا تَدَانَتْ قَابَ قَوْسَيْنِ	أصابَهَا الحَاسِدُ بالعَيْنِ

إذ إنه استدعى في البيت الثالث قوله تعالى: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) النجم: ٠٩ ليصور من خلال مرجعيته الدينية قُرب الوزيرين من المخاطب، لذلك يدعوه أن يُظهر حسناته ويخفي أعماله الخبيثة. فالوزيران قريبان منه قدر قوسين أو أدنى، أو حيث الوتر من القوس. (الطبري، 1994:مج144/7)، فعلى المخاطب أن يحتاط فاللقاء بهما يكون أثقل من الدّين. والملاحظ أنه استفاد من التعبير القرآني لإيحاء المخاطب بقرب الحساب العسير.

ومن اقتباساته أيضاً قوله: (ديوان ابن شهيد الأندلسي: 167).

أنا طَوْدُها الرّاسي إذا ما زَلْزَلَتْ	أيْدِي الحوادِثِ مِن فُؤادِ جبانِها
وَعليّ للصّبْرِ الجَمِيلِ مُفاضَةٌ	زَغْفٌ أفَلّ بها شَباةَ سِنانِها

إنه يفخر بنفسه ويشبه نفسه بالجبل الثابت أصوله في الأرض، إذ لا يهزه زلزلة الأرض وحوادث الزمان ونائباته. ففؤاده ثابت كما الطّود الراسخ بخلاف فؤاد الجبان. وكل ذلك يرجع إلى صبره الجميل الذي استدعاه من القرآن الكريم في قوله تعالى: أ(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يوسف: ١٨. يبدو أنه شبّه صبره بصبر النبي يعقوب، لذلك استدعى ما قاله النبي يعقوب عندما جاؤوا على قميص ابنه يوسف بدم كذب. وقد كرر النبي يعقوب عبارة (فصبر جميل) في سورة يوسف في قوله تعالى: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) يوسف: ٨٣، لتضغط هذه العبارة على ذهن الشاعر الأندلسي كي يستعيدها ويستدعيها مرة أخرى وفي قصيدة أخرى يفتخر فيها الشاعر بصبره الجميل، إذ يقول:(ديوان ابن شهيد الأندلسي:117).

طاوَلْتُهُ مِن عَزْمَتي بِمُضَمَّرٍ	أثْبَتُ هَمّي في قَرارةِ كُورِهِ
وَعَلَيَّ للصّبْرِ الجَمِيلِ مُفَاضَةٌ	تَلْقَى الرَّدَى فَتَكِلُّ دُونَ صَبُورِهِ

لقد كرر عبارة (عليّ للصبر الجميل) ليستمد قوته من صبر النبي يعقوب، وليثاب كما أثاب الله نبيه، وليفرج الله عليه كما فرّج كربة نبيه، وردّ إليه ابنه وعافيته وبصره. أما ابن دراج القسطلي فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من سلطة مرجعية القرآن عليه، فالقرآن الكريم كان حاضراً في شعره بألفاظه وآياته وسوره وقصصه وكل ما يحمل من تفاصيل. فقد استفاد من مرجعيته الدينية ووظفها خير توظيف. فثقافة ابن دراج الدينية واطلاعه على كلام الله المجيد وحفظه له من الأمور بالغة الأهمية ، إذ أسهم في شحذ ثقافته وبروز شاعريته. ومن استدعاءاته واقتباساته قوله وهو يمدح ممدوحه: (ديوان ابن دراج القسطلي:213).

هل تنقمون سوى سجيّةِ حافظٍ	حق الأواصرِ واصلِ الأرحامِ
سَهِدِ الجُفُونِ طويلِ آناءِ السُّرى	عَن أعينٍ تحتَ السُّجوفِ نيامِ
أو يَحْسُدُونَكَ رُتْبَةً فليرتقوا	فالشّمسُ في جَوّ السّماءِ السّامي
أم أبْرَمُوا أمراً يَسُوؤكَ ذِكْرُهُ	فاللهُ ناقضُ ذلكَ الإبرامِ

لقد حشد في هذه الأبيات القلائل مجموعة من الألفاظ القرآنية وتعبيراته. لتعينه على مدح ممدوحه، وبيان أن الله ناصره ورافع من قدره رغم تربص الحاسدين وكيد الكائدين، لذلك فقد اقتبس في بداية الشطر الأول عبارة (هل تنقمون) من قوله تعالى: (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا) المائدة: ٥٩. لقد رفع الشاعر شأن ممدوحه باستدعائه هذا، فالخطاب القرآني موجّه من الله تعالى إلى رسوله الكريم، ليقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: هل تنكرون وتسخطون وتكرهون منا إيماننا بالله وما أنزل إلينا؟(الطبري،1994: مج233/6) بمعنى هل تكرهون منا أخلاقنا وسجايانا الحميدة في الإيمان بالله. وكأن الشاعر أراد أن يقول للحاسدين الذين تربصوا بالممدوح – أسوة بقوله تعالى- هل تكرهون في الممدوح سوى أخلاقه الكريمة في حفظ صلة الأرحام والحفاظ على الرعية والسهر على راحتها ؟ وحتى يمعن في مدح الممدوح ويضفي عليه الصفات التي تليق به، استدعى آية أخرى في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ) النساء: ٥٤. ليقول لحاسديه إن الرتبة والمكانة التي يتمتع بها الممدوح من فضل الله ورحمته .وإذا لم يعجبهم الحال، فليصعدوا وليبلغوا جوّ السماء ليروا ممدوحه هناك كالشمس يعلو ويسمو على الكواكب كلها .وفي هذا الموضع أيضاً رجع إلى القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: (أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَاب) ص: ١٠، ليقوي حجته، ويفحم حاسديه بكلام الله الذي يعلو ولا يُعلى عليه شيء. وفي البيت الثالث يصور خطط الحاسدين والناقمين على الممدوح مستعيناً بالآية الكريمة: ٱ(أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُون) الزخرف: ٧٩. فقد استدعى عبارة (أم أبرموا) ليؤكد لهم فشل خططهم، فالدسائس التي يحكمون صنعها ليكيدوا بها الممدوح، لا بد أن الله ناقضها ومفضحها. والله يدافع عن ممدوحه بالقضاء على حاسديه. فالشاعر يوجه الخطاب إلى ممدوحه مباشرة، ويقول له: لا يسوؤك مكرهم المحكم، فالله مدافع عنك لا محالة. لقد تضافرت تلك العبارات التي استدعاها من سور مختلفة، ليتبين لنا افتنان ابن دراج بالعبارات القرآنية وبمرجعيته الدينية التي منحت خطابه الشعري حياة وقوة، لذلك فقد استنار بها ديوانه الشعري ليبقى خالداً إلى يومنا هذا. إذ لولا سلطة المرجعية الدينية عليه لما استطاع أن يكثف معناه ويختصره ويصوره على هذا النحو المؤثر.

أما ابن زيدون، فقد بدا أثر الخطاب القرآني جلياً في شعره، فالثقافة الدينية التي تمتع بها أمدته بمعين لا ينضب من الألفاظ والصور والمعاني والأفكار التي جعلها المادة الخام في أشعاره ليوظفها بعد ذلك في بناء صوره ومعانيه الخاصة. فقد توسل بوساطتها التعبيرَ عن نفسه وعصره خير تعبير. ولامتزاجه الشديد بالألفاظ القرآنية وصورها، فقد استدعاها حتى في معرض الدعابة مع أصدقائه. ومما استدعاه على سبيل الظرافة والفكاهة، قوله تعالى: ٱ(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) الجن: ٩، فقال في أبيات له أرسلها إلى صديقه أبي حفص، واصفاً صديقهما أبا صفوان عابثاً به:(ديوان ابن زيدون و رسائله،2004: 265).

ما لأبي صَفْوانَ مألوفِنا	أبرَقَ في الألْفَةِ عَنْ خُلْبِ
وَلَم يَعُدْ إلا كَما يتّقي	مستَرِقُ السَّمْعِ مِنَ الكَوْكَبِ

إنه يعتب على صديقه أبي صفوان لقلة زيارته له وندرتها وقلة وقتها إن قامَ بها لم يوف حق زيارته. فزيارته القليلة تشبه ذهاب الجن إلى السماء ليتلقفوا أخبارها. فحين وجدوها (مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا) الجن: ٨، يُرمى بها مَنْ استرق السمع، عادوا بسرعة مخافة القذف والإحراق بالشهاب الثاقب الذي أعده الله لهم. وهناك إشارات خفيفة في البيت الثاني تقودنا إلى معرفة الثقافة الدينية العميقة التي كان يتمتع بها ابن زيدون .فكلمة (مسترق) مأخودة من (استرق) في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِين﴾ الحجر: ١٨. فالثقافة الواسعة لابن زيدون جعلته يستدعي آيتين من سورتين مختلفتين، ليصور بخياله الواسع موقف صديقه من زيارته. فكأنّ بيته سماء محاطة بملائكة متأهبين لحرق كل من يقترب، لذلك يخاف صديقه من زيارته. وقد استعان بالصورة القرآنية ليعبث مع صديقه ويداعبه.

يلاحظ أن ابن زيدون يحسن الرجوع المتكرر للقرآن الكريم. وتوظيف الألفاظ والقصص القرآني في جميع الأغراض الشعرية، سواء أكان في الغزل أو المديح أو الوصف أو الفخر أو الرثاء.فقد كان الخطاب القرآني مرجعيته التي لاتفارقه. ففي غرض الغزل الذي استغرق مساحة واسعة من شعره. يقول في بيتٍ من نونيته الشهيرة:(ديوان ابن زيدون ورسائله:171).

يا جنّة الخُلدِ أُبدِلنا بِسِدرَتِها	والكوثرِ العَذبِ زَقّوماً وَغِسلينا

يتجلى للمتلقي أن في البيت الشعري استدعاء لألفاظ قرآنية عديدة، مما يدل على الحضور المكثف لألفاظ القرآن الكريم، وبالتالي ضغط المرجعية الدينية. فقد استدعى في بداية الشطرالأول قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا﴾ الفرقان:15. عندما نادى محبوبته بقوله: يا جنة الخلد، إظهارا التحسر عليها. ولم نكد ننتقل إلى مابعدها حتى استدعى آية أخرى تتحدث عن السدرة في قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ النجم: ١٤. وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ النجم: ١٦ . حتى إذا وصلنا إلى الشطر الثاني من البيت الأول رأيناه استدعى ثلاثة ألفاظ متتاليات من القرآن الكريم في آيات متفرقات ، وعلى النحو الآتي:

الكوثر:وقد استدعاه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾ الكوثر: ١. والزقوم: وقد استدعاه من قوله تعال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم طَعَامُ الأَثِيم﴾ الدخان: ٤٣-44 . والغسلين: وقد استدعاه من قوله تعالى: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِين﴾ الحاقة:٣٦، فقد استمد من الآيات السابقة (الكوثر- الزقوم - غسلين)، ليظهر لنا جلياً ضغط المرجعية الدينية وسلطتها عليه.وقد بيّن الشاعر من خلال استدعائه لمرجعيته الدينية حاله أيام الوصال مع محبوبته، وما آل إليه أيام الهجر، فقد كان كمثل من يتمتع بنعيم الجنة ومتعة الخلود فيها، كما أنه كان مثل مَن يتمتع بشجرة السدرة وماء الكوثر، حتى تحولت تلك الجنة / الوصل، إلى عذاب جهنم حيث الزقوم، وهو شر الأشجار وأفظعها والغسلين بما يتصف من حرارة، ونتن الريح، وقبح الطعم ومرارته .(السعدي، 2000: 884).من هنا استمد صورته - وقد تحول من وصل إلى هجر- من الصورة التي رسمها الله تعالى في كتابه العزيز لأهل الجنة وأهل النار، فحال الفريقين على النقيض تماماً كحال الشاعر ابن زيدون وأيام وصله و هجره .وهو في نقل الصورة من مرجعيته الدينية إلى خطابه الشعري ، تمكن أن يرتاد بخيال القارىء آفاقاً رحبة، استطاع من خلاله أن يتصور عذاب الهجر الذي عاناه ابن زيدون.

لقد واسى ابن زيدون نفسه من خلال تكثيفه استدعاء الألفاظ القرآنية ليطمئن روحه الجريح. فبيت واحد احتوى مجموعة من الألفاظ المستمدة من المرجعية الدينية/ الخطاب القرآني .مما يدل على سلطة المرجعية الدينية وسلطانها على الشاعر الذي يمثل شعراء عصر ملوك الطوائف، فلقد ازدحم ذهنه بكم كبير من الألفاظ والمعاني والصور القرآنية، حتى إذا حانت الفرصة السانحة استحضرها من مخزونه الفكري ووظفها في سياقات مختلفة تعميقاً لرؤيته وإثراءً لفكرته.وقد جمع هذه الألفاظ من سور مختلفة ليعيد توظيفها في تركيب جديد.ففي قوله:

إنّا قَرَأنا الأسى يَومَ النّوى سُوَرا	مَكتوبةً وَأَخَذنا الصَّبرَ تَلقينا

يبدو أنه "يخلع على الحب أجواءً من القداسة تقترب من طقوس الدين والعبادة" (القط،1988: 219) لحضور المرجعية الدينية في شعره. وذلك حين يصور الشاعر نفسه وكأنه ميت مصعوق بسبب الهجر والنوى، وتُجرى له مراسيم الدفن من قراءة القرآن وتلقينه، ولكن مراسيم الدفن لديه تختلف تماماً عمّا هو معهود، فعِوضاً عن قراءة القرآن عليه، هو الذي يقرأ الأسى. وبدل التلقين المعروف الذي يلقن به الميت، ليتذكره وليكون حاضراً في ذهنه، يُلقن الشاعر الصبر لاجتياز محنته، وهو وبوساطة حضور

المرجعية الدينية صوّر نفسه وكأنه في محنة شديدة كمحنة الميت محتاج إلى المساعدة، إلا أننا نلاحظ أن الشاعر في الحالتين (قرأنا القرآن وأخذنا الصبر) هو الفاعل والمفعول به في آن واحد، وهذا يشير إلى أنه ذلك الحي الميت المتعلق بين الحياة والموت.

وهكذا فقد جسد الشاعر مأساته بعمق وحرارة عبر مرجعيته الدينية، حينما صوّر حاله ميتاً يُقرأ عليه الأسى، فحينما يعاني الشاعرآلام الهجر تتسرب إلى نفسه فكرة الموت، وبهذا يكون قد هبط إلى قاع اليأس واستسلم لعذاب نفسي عميق لا يزول إلا بزوال الهجر. ومن الملاحظ أن استخدام الشاعر الرمز الديني قد منح صورته الشعرية قوة تأثيرية كبيرة فاعلة في القارئ.(عساف،1966: 64)، ولقد استطاع أن يوجه الألفاظ المستمدة من القرآن الكريم توجيهاً جديداً، ويضفي عليها دلالات جديدة تشير إلى عمق محنته وألمه الضارب في أعماق ذاته حد الموت.

ها هو ابن الحداد يبدأ مقدمته في مدح ممدوحه بالاقتباس من آي القرآن الكريم ، فيقول: (ديوان ابن حداد الأندلسي:140).

لعلّكَ بالوادي المقدّسِ شاطِئٌ	فكالعنبرِ الهِنديِّ ما أنا واطِئٌ
وإنّي في رَيّاكَ واجِدُ رِيحِهِمْ	فَرَوْحُ الهَوَى بَيْنَ الجَوَانِحِ ناشِئٌ

استدعى ابن الحداد الآية القرآنية (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) طه:12"في إشارة إلى تفضيل المكان عبر تساؤل عن مدى الشبه بين هذا المكان الذي يقصده، والوادي المقدس الذي قصده موسى عليه السلام" (هدّاب، 2013: 213)، فلقد نجح الشاعر في إثارة العواطف الدينية من خلال تشبيه المكان الذي نزل فيه الممدوح بالوادي الذي قصده النبي موسى عليه السلام، فالشاعر المبدع هو ذاك الذي يستطيع أن يوجه الآيات والألفاظ القرآنية توجيهاً وظيفياً، ولا يكون حشداً وحشواً من الألفاظ المفرغة من المعاني، وإنما يأتي بالألفاظ لاستحضار الدلالة التي يريد التأكيد عليها . أما في البيت الثاني فإنه استدعى قول النبي يعقوب عليه السلام للدلالة على حَدْسه وتخمينه الصائب تجاه الممدوح، كما صح حدس النبي يعقوب بقرب اللقاء بيوسف، فعبارة (إني واجِدُ ريحهم) استعارة لقوله تعالى على لسان نبيه يعقوب: ٱ(إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون) يوسف: ٩٤ .كما إننا نستشف في قوله: (فَرَوْحُ الهوى) رجوع إلى قوله تعالى: ٱ(فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم) الواقعة:٨٩ ، فهذه الكثافة في الرجوع إلى القرآن الكريم مهما كان سببها وتنوعت دلالاتها، فإنها أضفت على الخطاب الشعري الأندلسي الحرارة ف"حرارة النص - والتي من غيرها لا يوجد نص في النتيجة- ستكون إرادته في المتعة".(بارث،1992:39)، لذلك فحرارة الشعر الأندلسي في مرجعيته الدينية، لأنها تشكل متعة للسامع الذي يلتذ لسماع الآيات القرآنية. وبهذا فقد منح الشعر الأندلسي المتعة للمتلقي من خلال رجوعه للمرجعية الدينية.

الخاتمة

دلّ التوظيف المكثف للآيات القرآنية على قدرة الشاعر الفنية الكبيرة في الربط بين الخطاب القرآني والخطاب الشعري الأندلسي. كما دلّ على سلطة المرجعية الدينية على الخطابات الشعرية الأندلسية. إذ أصبحت سلطة ضاغطة لا يملك الشاعر الاستغناء عنها. وقد أبدع الشاعر الأندلسي في الرجوع إلى الخطاب القرآني وتوظيفه . وصارت العودة إليه جزءاً لا يتجزأ من إبداعاته الشعرية التي جعلت القصيدة الأندلسية ثرية المحتوى، حية ومحمية من الضياع. ولا ننسى أن نقول: لقد ازدادت ثقافة الشاعر الدينية في الفترتين، لذلك ازدادت اقتباساته، وازدادت قيمة الخطابات الشعرية الأندلسية بهذه الاقتباسات، لأن الشاعر كان واعياً في إدارة ثقافته الدينية، مما وفر للقارئ لذة القراءة ودهشة الربط بين الخطاب الشعري والخطاب القرآني.كما أسهمت مرجعية الخطاب القرآني في إثبات الهوية الإسلامية والأدبية للشعر الأندلسي. وهويتهم الإسلامية دعتهم إلى توظيف الاقتباس الإشاري والإكثار منه وتفضيله على الاقتباس النصي تنزيهاً للخطاب القرآني وتعظيماً له .

4. المصادر والمراجع

1.4 الكتب:

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم،2006، لسان العرب، ط1، دار نوبليس.

- بارث، رولان، 1992، لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، ط1، باريس، دار لوسوي.

- بهجت، منجد مصطفى، د.ت، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي الطوائف والمرابطين، مؤسسة الرسالة

- الحميري، إسماعيل بن عامر، 1940، البديع في وصف الربيع، اعتنى بنشره: هنري بيريس، ط1، رباط، المطبعة الإقتصادية.

- ديوان ابن الحداد الأندلسي، 1990، تحقيق: يوسف علي طويل، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- ديوان ابن خفاجة، د.ت، شرح: عمر فاروق الطباع، بيروت، لبنان، دار القلم.

- ديوان ابن دراج القسطلي، 1961، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي.

- ديوان ابن زيدون ورسائله، 2004، تحقيق: علي عبد العظيم، مراجعة: محمد إحسان النص،ط3، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين.

- ديوان ابن شهيد الأندلسي، د.ت، تحقيق: يعقوب زكي، مراجعة، محمود علي مكي، القاهرة، دار الكاتب العربي.

- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي، 1993، تحقيق: محمد التونجي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.

- ديوان ابن هاني الأندلسي، 1980، بيروت، دار بيروت.

-ديوان أبي إسحاق الإلبيري، 1991، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر.

-ديوان الإمام ابن حزم الظاهري، 1990، تحقيق: صبحي رشاد عبد الكريم، ط1، دار الصحابة للتراث.

- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،1996، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاغرجي، الإشراف: شعيب الأرنؤوط، ط11، ط1، مؤسسة الرسالة.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 2000، تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان،تقديم: عبد الله بن عبد العزيز عقيل و الشيخ محمد الصالح العُثيمين، تحقيق: عبد الرحمن بن اللويحق، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، 1983، طبقات الحفاظ، مراجعة: لجنة من العلماء، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- السيوطي، جلال الدين، 2008، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الاعتناء: مصطفى شيخ مصطفى، طبعة جديدة، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

- شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس، 1980، قدّم له: ماهر زهير جرّار، ط1، المؤسسة العربية للدراسات.

- طبانة، بدوي، 1988، معجم البلاغة العربية، الطبعة الثالثة، جدة، دار المنارة.

- الطبري، 1994، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، ط1، بيروت، سورية، مؤسسة الرسالة.

- عساف، عبد الله، 1966، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا تجربة الحداثة في مجلة (الشعر) وجيل الستينات في سورية، ط1، سورية، دار دجلة.

- فرحان، يوسف، 2000، معجم الحضارة الأندلسية،ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي.

- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاج الخزرجي شمس الدين، 2003،تفسير القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري النشار، الرياض، المملكة السعودية، دار عالم الكتب .

- القط، عبد القادر، 1988، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب.

-كنيج، صادق حسين، 2008، لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، ط1،مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

- هدّاب، سناء ساجت،2013، المتلقي في الشعر الأندلسي دراسة في أنواع المتلقي وبنى الاستجابة، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

2.4 الرسائل والأطاريح:

-محمد، عروبة عودة، 2004، أثر القرآن في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر، كلية التربية ، جامعة بغداد. (رسالة)

سەرچاوەی گوتاری قورئانی لە شیعری ئەندەلوسیدا

خەلیفایەتی وتایفەکان بە نموونە

سرور أحمد محمد أمين

بەشی زمانی عەرەبی،کۆلێژی پەروەردە،زانکۆی سەلاحەدی-هەولێر

Srursweri@gmail.com

صالح ويس محمد

بەشی زمانی عەرەبی- کولیژی پەروەردەی زانستە مرۆییەکان / زانکۆی موصل - موصل

alwyis@yahoo.com

پوختە

گوتاری قورئانی یەکێکە لەو ئاماژەبەندیانەی کە ئامادەگییەکی بەهێزی لە جەستەی چەکامەی (قصیدە) ئەندەلوسیدا هەیە لە هەردوو سەردەمی خەلیفایەتی و تایفەکاندا، هەروەها یەکێکە لەو سەرچاوە پڕ گوشارەی کە هێز و دەسەڵاتی بەسەر گوتاری شیعری ئەندەلوسی لەو دوو سەردەمەدا چەسپاندووە. ئەم ئاماژەبەندی قورئانییە لە شێوەی وەرگرتنی قورئانی خۆی بەدەرخست. شاعیرەکان توانیان بەدوو شیواز بیهێننە ناو شیعرەکانیان کە ئەمانەن: (شیوازی وەرگرتنی تێکستی ڕاستەوخۆ و شێوازی وەرگرتنی نائێکستی یان ئاماژەکردنی ناڕاستەوخۆ)، زۆربەی شاعیرەکان لەبەر هەندێ مەبەستی ئایینی ئەوەی دووەمیان لا باشتر بووە. ئامادەگی چڕی تێکستە قورئانییەکان بەشدارییەکی باشیانکرد لە بنیاتنانی ناسنامەی ئەندەلوسی ئیسلامی وئەدەبیدا. هەروەها شاعیرەکان توانییان گوتارە شیعرییەکانیان لە کڵاوەڕۆژنەی سەرچاوە ئاینییەکانەوە پشت ئەستوور بکەن و بەهرە و توانا شیعرییەکان بەو سەرچاوەیە بە هێزو توانا بکەن کە کانگاکەی وەرگرتنی قورئانییە کە جۆرێکە لە جۆرەکانی دەقئاوێزان لە ڕوانگەی ڕەخنەی نوێدا. چونکە بریتیە لە تێکچڕژانی تێکستە قورئانییەکان لە گوتارە شیعرییەکان. هەروەها شاعیری ئەندەلوسی هەڵێکی گونجاوی بۆ وەرگر ڕەخساندووە تاکو چێژ لە تێکستی شیعری ڕازێنراو بە گوتاری قورئانی وەربگرێت.

ووشە سەرەتاییەکان: ئاماژەبەندی ئایني، گوتاری قورئانی، دەقئاویزان، شاعیرانی سەردەمی خەلیفایەتی و تایفەکان، گوتارە شیعرییەکان.

The Quranic Discourse Sources in Andalusian Poetry, the caliphate and Tawaef as Models

Srur Ahmed Muhammed Ameen
Department of Arabic,college of Education,alahadin university-Erbil
Srursweri@gmail.com

Salih Wyis Muhammed
Musil university/ Musil
alwyis@yahoo.com

Abstract

Quranic discourse is one of the sources that have a strong attendance in Andalusian poetry, in both caliphate and Tawaef. It was one of the most affected sources that imposed its authority and power on Andalusian poetic discourses. This religious bookmark has been manifested in Quranic quotes. Poets were able to call up this bookmark in two styles: direct script quotes and indirect script quotes or indirect indication. Most poets have preferred the second style for several religious reasons. Having a vast number of Quranic texts have participated in Islamic and literary structure of Andalusian identity. The poets were able to lie down their poetic speeches through out their religious references, and they were able to add power and capacity to their poetic talents from the Quranic quotes which can be regarded as a type of intertextuality according to the modern criticism, because it's about overlapping Quranic texts in poetic speeches. Andalusian poets have made a chance for enjoying the poetic texts in Quranic speeches .

Keywords: religious bookmark, Quranic speeches, quotes, poets of caliphate and Tawaef, poetic speeches.